كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
College of Sharia and Islamic Studies
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

رسائل منهجية

الرسالة الثانية

نفحات العشر الأواخر لرمضان وعيد الفطر في ظل الحَجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يظلنا شهر رمضان المبارك في أجواء جائحة كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الذي عمّ المعمورة، وها هي العشر الأواخر الغالية أقبلت وأيام عيد الفطر اقتربت وأعداد المصابين بهذا الوباء ما زالت تتصاعد في هذا البلد الطيب وبلاد أخرى عديدة، والله أعلم أي وقت ستنتهي هذه الجائحة، فالتقديرات الرسمية ما زالت تشير إلى أن أعداد المصابين بالوباء ستستمر في الزيادة إلى أن تصل للذروة في بضعة أسابيع، وأن الوباء سيستمر بعدها بضعة أشهر.

ومن لطف الله في أقداره، أننا تذوقنا في شهر رمضان هذا العام ألواناً من القرب ولذة العبادة لم يتح لنا أن نتذوقها من قبل، فقد توفرت الأوقات، وانقطعت الشواغل والعلائق والزيارات، وطابت الساعات بالتلاوة والقيام والتدبر والتضرع والاستغفار. وكل ذلك في ظل ظروف تجعل القلوب وجلة، وعلى ربها مقبلة، وفي محراب حبه والتذلل إليه متبتلة.

ومع دخول العشر الأواخر المباركات، نحن نرتقب ألواناً أخرى من النفحات، وفرصاً عظمى للاستباق في ميدان الزلفى، والتقرب إلى الله بالطاعات في هذه الأجواء الخاصة، مستشعرين فضيلة العمل في هذه العشر والاجتهاد فيها تحرياً لليلة القدر، وسؤال الله العفو والعافية، ومن ثم الفرح في العيد – بإذن الله - بما منَّ به الله علينا من صيام شهر رمضان وقيامه والتقرب إليه رغم الجائحة.

ولئن فقدنا المساجد ونورها وروحها وروحانيتها في رمضان، فإننا نحتسب عند ربنا أجر ملازمتنا البيوت، والتزامنا بالحجْر، كما نحتسب أجر الإسهام في حماية أرواحنا وأرواح الناس، وحماية المجتمع بسكانه وأنظمته الصحية والأمنية والاقتصادية بهذا الالتزام الواجب، مستبشرين ببشارة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((فليسَ مِن عَبْدٍ يَقَعُ الطّاعُونُ، فَيَمْكُثُ في بَلَدِهِ صابِراً، يَعْلَمُ أنَّه لَنْ يُصِيبَهُ إلّا ما كَتَبَ اللَّهُ له، إلّا كانَ له مِثْلُ أجْرِ الشَّهِيدِ)) [رواه البخاري].

وإننا إذ نستشعر حماس بعضنا، ورغبتهم في العودة إلى المساجد، وحنينهم إليها، إلا أنه من الخطورة بمكان الاندفاع وراء هذا الحماس، والاستجابة لهذه العواطف، من غير تقدير صحيح للعواقب.

وعليه؛ فإن مطالبة البعض بفتح المساجد وإن كانت باشتراطات - رغم هذه الظروف - تُعد مجازفة خطيرة؛ لأننا نعلم جميعاً أنه ليس هناك ما يضمن الالتزام بالاشتراطات في ظل العواطف الجياشة والأشواق المتقدة والوعي المتواضع لدى العامة، فضلاً عما في هذه الاشتراطات من التكلف الذي نهينا عنه، ولا سيما في أوقات الرخصة والأعذار، هذا بالإضافة إلى أن مثل هذه المطالبات تخالف توجيهات الأطباء والمسؤولين عن متابعة تطور هذا الوباء بضرورة الاستمرار في التباعد الاجتماعي ووجوب الالتزام بالاحترازات الوقائية، وهذه التوجيهات تكشف عن التصور العلمي الصحيح الذي ينبغي أن يناط به الحكم الشرعي في النازلة، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

إن الإصرار – في هذه الظروف - على المظاهر التي اعتدنا عليها من جماعات المساجد وقيامها والاعتكاف فيها، وإن كانت في الأصل مشروعة ومطلوبة ومحمودة، يخشى أنه يشير إلى أن التعلق بهذه المظاهر أصبح تعلق عادة أكثر منه تعلق عبادة، وإلا فإن العابد الحق يتعلق بربه في المسجد وخارج المسجد، ويمتثل أمره مع الجماعة وبمفرده، ويخفق قلبه بحب الله والتعلق به في زمن العافية، تماماً كما هو في زمن الوباء. ثم إن أبواب التقرب إلى الله عز وجل لا تقتصر على هذه الشعائر.

وإن مما ننصح به من يشعر أن روحانيته تضعف بفقد جو المساجد والجماعات، أن يعظ قلبه بالتفكر فيما يحيط بالعالم من تجلٍّ لقدرة الله وعلوه وجبروته وقيوميته في ظل هذا الوباء، فإن في هذا الحدث الجلل مواعظ بليغة تزيد المرء تعلقاً بربه واستكانة لأمره وتضرعاً إليه.

إن الظروف التي نعيشها في هذه الأزمة فرصة لأرواحنا؛ لتتذوق عمق المعاني الإيمانية في العبادات، وصدق التعرف على الله وصفاته وعظمته، والتعلق الدائم به، وإعمار بيوتنا بالصلاة والقيام والدعاء وتلاوة القرآن وتدبره والخلوة بالله عز وجل والأنس بمناجاته. فلنجتهد في تحويل بيوتنا لمحاريب ومعتكفات، نتشوف فيها لرحمة الله ومغفرته، بصحبة الأهل والأولاد، وهذا مما يقوي أواصر المحبة، ويعزز الصلات، ويوثق الروابط، على أسس إيمانية خالصة.

وبعيداً عن الخلاف الفقهي في جواز اعتكاف الرجال في البيوت، فإنه من المتفق عليه أنه في حالة العذر – كالحالة التي نحن فيها الآن – يكتب للعبد الأجر التام للعبادات التي منعه منها العذر، كما دل عليه حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((إذا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحاً))[واه البخار ي]، وكما قال عمن حبسهم العذر عن الجهاد في سبيل الله معه صلى الله عليه وسلم في تبوك: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوا مَعَكُم حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ، وفي رواية « حَبَسَهُمُ العُذْرُ»، وَفِي رِوايَةِ: «إِلاَّ شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ))[رواه مسلم]، وهذا من فضل الله وكرمه وعطائه، والحمد لله، فلنقبل من الله رخصته وفضله وعطاءه.

ولْيُعلم أن النهي عن الاجتماع، والأمر بالاحتراز، والتأثيم بترك الاحتياط، ليس خاصاً بالمساجد والجماعات فقط، بل يشمل كذلك كل مَن خرج وخالط وزار واجتمع بغير حاجة داعية، أو لم يتحرز ولم يأخذ بالاحتياطات، وأنه إن فعل ذلك فهو آثم عاصٍ؛ لأنه يُعرِّض نفسه وغيره للخطر. وهذا يشمل من يخرج أيام العيد كذلك؛ فإن صلة الرحم في العيد والتهنئة به لا يسوّغ تعريض الآخرين للخطر، وتحويل عيدهم إلى شقاء. ولا سيما أن الله قد منَّ علينا بوسائل التواصل الاجتماعي عن بعد التي يمكن أن تكون بديلاً يتيح إمكانية التواصل مع الأرحام والمعارف والأصدقاء.

والله الكريم نسأل أن يعيننا على صيام العشر الأواخر وقيام ليالها إيماناً واحتساباً، وأن يُهل علينا عيد الفطر المبارك، وأن يكرمنا بثلاث أفراح: فرحة بتوفيق الله لصيام رمضان وقيامه رغم الجائحة، وفرحة بثوابه في يوم نحن أحوج ما نكون إليه، كما في الحديث المتفق عليه: ((لِلصّائِمِ فَرْحَتانِ يَفْرَحُهُما: إذا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ))، وفرحة ثالثة بسلامة الأرواح والأوطان من هذا الوباء ورجوعنا إلى أعمالنا ومجالسنا ومساجدنا ملبين نداء «حي على الصلاة، حي على الفلاح»، ولا يكون ذلك إلا باستمرار الأخذ بأسباب الاحتياط والوقاية والعلاج، مع التضرع إلى الله حتى يأذن بالفرج، وعسى أن يكون قريباً.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين....

التاريخ: 20 رمضان 1441هـ/13 مايو 2020م